

إلى بيت الله الحرام «اليوم أكملت لكم دينكم»

* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ *

[سورة آل عمران: آية ٧٩].

* الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا *

[سورة المائدة: آية ٣].

* إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ
اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا *

[سورة النصر].

* * *

«المسجد النبوي بالمدينة النبي ﷺ يداوم على الخروج إلى أصحابه والمسلمين، فيحدثهم ويسمع منهم، ويجيب على أسئلتهم وما قد يعن لهم.. ولكن البعض جعل يشرد إلى أسئلة قد تضيق إجابتها عليه وعلى المسلمين، وقد يؤدي جوابها السائل نفسه، فمنهم من يسأل من أبوه، وآخر يسأل عن ناقته التي ضلت، ومنهم من يتنطع فيسأل عن البَحِيرَةِ (الناقة التي كانت تشق أذنها في الجاهلية وتعفى من العمل إذا ولدت خمسة أبطن)، وعن السائبة (الناقة المهملة التي تترك في الجاهلية للآلهة إذا ولدت أنثى فأنثى، وعن الحامى (ما طال مكثه من الإبل عند أصحابه في الجاهلية حتى صار له عشرة أبطن فحموا ظهره وتركوه)، ومنهم من لا يكتفى بما بيينه ﷺ من الحلال والحرام، فيلح ويلحف في السؤال فيما قد تشق إجابته عليه وعلى المسلمين».

«الرسول عليه السلام على منبره بالمسجد النبوي يتحدث إلى المسلمين، في أمور الحج، فيتلو عليهم ما كان قد تنزل من سورة آل عمران في الحج..».

الرسول : ﴿يَتْلُو فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: آية 97]. (يستأنف) يا أيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا.

أحد الأعراب : (سائلاً) أفي كل عام يا رسول الله؟

«الرسول عليه الصلاة والسلام ساكت..
لا يجيب».

الأعرابي : (معاوذاً) أفي كل عام يا رسول الله؟

«الرسول ساكت.. لا يجيب - ينهض عكاشة

ابن محصن الأسدي فيلح في السؤال..».

الأسدي : (ملحاً) أفي كل عام يا رسول الله؟

الرسول : «لا» (يستأنف) ولو قلت «نعم» لوجببت، ولو وجبت ما

استطعتم، ولو لم تطيقوا لكفرتم، فاتركوني ما تركتكم، فإذا
أمرتكم بشيء فافعلوا، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه.

(يستأنف) ويحك! ماذا يوفيك أن أقول نعم؟ والله لو

قلت نعم لوجببت ولتركتكم وكفرتم!! إنما أهلك الذين

قبلكم أئمة الحرج، والله لو أني حللت لكم جميع ما في

الأرض، وحرمت عليكم منها موضع خُف، لوقعتم فيه!

«تعلو همهمات التسليم بين المسلمين».

«النبى ﷺ يخاطب المسلمين في المسجد

النبوى، وقد ضاق بالأسئلة التي تلقى بغير

طائل، واستكثر ما يشئت به بعض المسلمين

أنفسهم، فاتجه عليه السلام إلى الحاضرين..».

النبي

: سلونى، فإنكم لا تسألونى اليوم عن شىء إلا بينته لكم!
«يبدو الإشفاق على الصحابة وقد لاحظوا الضيق فى عبارة الرحمة المهداة، وخشوا أن يكون بين يديه أمر قد حضر.. وتمنوا ألا يلقى أحدُ بسؤال شارد فى غير محله.. وإنهم لفى إشفاقهم، ينهض رجل من بنى سهم، يقال له: عبد الله بن حذافة بن قيس، وكان إذا ما لاحى أحدًا، دعى إلى غير أبيه، ويشق عليه ذلك، فيتجه إلى رسول الله عليه السلام سائلًا..».

عبد الله بن حذافة : (مترددًا بإشفاق) يا نبي الله، مَنْ أبى؟
الرسول : (فى صبر وضيقة) أبوك حذافة بن قيس.

«عمر بن الخطاب وقد استشرف الغضب على محيا الرحمة المهداة عليه الصلاة والسلام، وعلا نشيج الناس، فجثا على ركبتيه أمامه، وطفق يقول..».

عمر بن الخطاب : (مستعطفًا وهو جاث على ركبتيه) يا رسول الله.. لقد رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن إمامًا.. ونعوذ بالله من غضبه وغضبه رسوله.. فاعف عنا عفا الله عنك!

«لا يزال عمر يستعطف النبي ﷺ حتى رضى.. وعلت تكبيرات المسلمين..».

النبي : أما الذى نفسى بيده، لقد صورت لى الجنة والنار آنفًا فى عرض هذا الحادث، فلم أر كاليوم فى الخير والشر.. غفر الله لكم..

«ينصرف عليه الصلاة والسلام محوطاً
بتكبيرات المسلمين.. فى أعقابه يخرج عبد الله
ابن حذافة بن قيس، وقد اطمأن خاطره، فتلقاه
أمه أمام المسجد النبوى..».

أم عبد الله : (معاتبة) لقد عَرَضْتَنِي.. ما رأيت ولدًا أعقّ منك قط! أتأمن
أن تكون أمك قارفت ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها
على رؤوس الناس؟!
عبد الله بن حذافة : (لأمه معتذراً) لو دعانى عبد أسود للحقته واتبعته.
(مستأنفاً) إني أردت أن أستريح!

«النبى ﷺ فى خلوته يتعبد ويتحدث ويتهدد
وقد ألم بخاطره ما كان بينه وبين المسلمين، وما
ألح به البعض فى شأن الحج وهل هو واجب فى
كل عام.. يتنزل عليه الروح الأمين، فيلقنه من
كلمات ربه..».

الرسول : (يتلو) ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ
وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
[سورة المائدة: آية ١٠١].

(يرتفع الوحي)

* * *

«الرسول عليه الصلاة والسلام بين صحابته
بالمسجد النبوى، وقد تلا عليهم ما تنزل عليه
من القرآن الحكيم.. يمضى بهم الحديث وقد

هدأت النفوس وقرت العيون، فيبادر عليه السلام
صحابته والمسلمين قائلاً: «..»
(ناصحًا) إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدَّ
حدودًا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت
عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها..

* * *

«المسجد النبوي بالمدينة، في ذى القعدة
للسنة العاشرة للهجرة، وقد هلت نسائم التجهز
للحج إلى بيت الله الحرام.. المسلمون يستقبلون
الحج هذا العام استقبالا خاصًا.. فرسول الله ﷺ
سيخرج عليهم إلى الحج، وهى أول حجة له بعد
الهجرة يحرم فيها من المدينة..»
«قد استقبلت المدينة من أيام وفدًا فى خمسة
عشر رجلاً من الرهاويين، من قبيلة «رهاوة»
باليمن.. نزلوا ضيوفاً بدار رملة بنت الحارث،
معلنين إسلامهم، ولقيهم الرسول عليه السلام
فتحدث معهم طويلاً.. وأهدوا إليه فرساً يقال
له المرّاح، وأقاموا يتعلمون القرآن والفرائض،
وينتظرون القيام مع الرسول بالرحلة المباركة
للحج إلى بيت الله الحرام..»

«الرهاويون بين المسلمين بالمسجد النبوي، يصلون
ويتدارسون ما يلقيه عليهم السابقون للإسلام..
وإذ هم فى صلاتهم وتدارسهم، يلحق بهم رهط

من قومهم أتوا ليحجوا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، فلبثوا معهم انتظاراً لليوم الميمون...».

* * *

«المدينة بعد سنوات من فتح مكة، ونزول منع المشركين من ارتياد المسجد الحرام.. المسلمون يشق عليهم ما يترتب على هذا النهى من مشقة وعسر، يتساءلون من الذى يأتيهم فى مكة بالطعام والمتاع، بينما هم قائمون بمناسك العمرة أو الحج.. فلا غناء لهم عمن ينهض بإتيانهم بما يحتاجونه.. إنهم يخافون «العيلة».. وخاف البعض من انقطاع تجارته، فهل يجوز لهم الاستعانة بالمشركين إذا خافوا الحاجة إلى ما يحتاجون إليه بأمر القرى حيث بيت الله الحرام...».

«النبى ﷺ فى تحنثه وتبتله، وذكره وتسبيحه، ومناجاته لربه.. يوافيه جبريل عليه السلام، فيلقنه من كلمات ربه...».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: آية ٢٨].

(يرتفع الوحي)

* * *

«المدينة المنورة فى منتصف ذى القعدة للسنة العاشرة للهجرة، ونسائم الحج تهب على المدينة المباركة تيمناً بالخروج إلى الحج رفقة الرحمة المهداة عليه السلام.. يفتد إلى المدينة وفد بنى محارب بنجد.. فى عشرة نفر.. فىهم «سواء بن قيس المحاربى»، وابنه خزيمة بن سواء.. فجلسوا مع رسول الله عليه السلام وأسلموا، واعتذروا عما كان منهم من عداوة للإسلام، وقالوا: نحن يا رسول الله قد جئنا تائبين، ونحن على مَنْ وراءنا.. فطفق عليه الصلاة والسلام يبسط لهم الإسلام ويبين لهم فرائضه..».

«النبى عليه السلام يطيل النظر إلى واحد فى الوفد، فىحس الرجل بوقع نظراته عليه السلام، وكان قد أساء إليه حين عرض نفسه عليهم فى سوق عكاظ. المحاربى يغالب تخرجه، فىبادر..».

- المحاربى : (للنبى) كأنك يا رسول الله رأيتنى!
النبى : (للمحاربى) أجل. لقد رأيتك.
المحاربى : (مقرّاً) أى والله؟ لقد رأيتنى وكلمتني وكلمتك حينذاك بأقبح الكلام، ورددت عليك بعكاظ بأقبح الرد وأنت تطوف على الناس!
النبى : (فى تسامح) نعم.
المحاربى : (نادماً) يا رسول الله.. ما كان فى أصحابى أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الإسلام منى! فأحمد الله الذى أبقانى حتى صدقت بك.

النبي
المحاربي
النبي

: القلوب بيد الله عز وجل.
: يا رسول الله.. استغفر لى ما كان من مراجعتى إياك.
: إن الإسلام يجب ما كان قبله من الكفر..

«النبي عليه السلام يدعو لهم، ويمسح على رأس خزيمة بن سواء ويباركه، ويكلف بعضاً من المسلمين ليبسطوا لهم الإسلام، ويقرأوا عليهم القرآن، ويعلموهم الفرائض، ليعودوا موفورين إلى بلادهم وينشروا الإسلام حيث يريد الله..».

* * *

«المدينة المنورة، فى ذى القعدة للعام العاشر للهجرة قبيل الحج مع رسول الله، يتذاكر المسلمون ما كان من أمر بنى سليم وقدمهم بالمئات وإسلامهم فى عام الفتح فى السنة الثامنة للهجرة، وشهودهم فتح مكة، والطائف، وحينئذ.. وها قد مضى عامان، وانتشر الإسلام بينهم وفى ربوع الجزيرة العربية..».

«المسجد النبوى، وقد حَفَّ به مائة رجل قادمين من بنى سليم، ينشدون الخروج للحج إلى بيت الله الحرام.. يستقبلهم المسلمون بالمسرة، وتتجاوب أصداء التكبيرات والترحيب بهم فى جنبيات المسجد النبوى الذى صار يغص بالمسلمين من شتى أنحاء الجزيرة العربية وما حولها..».

يتطلع الجميع إلى ميقات الإحرام للخروج رفقة
الرحمة المهداة للحج إلى بيت الله الحرام..».

* * *

«فى ذى القعدة قبل مطلع ذى الحجة بالعام
العاشر للهجرة، حال الاستعداد للخروج للحج
مع رسول الله عليه السلام.. وقد انصرفت شهور
على ما فعله الحطّم بن هند البكرى، وبلغ
المسلمين أنه قد قدم حاجًا إلى بيت الله الحرام،
وأنه قد قدم الهدى والقلائد، وأهل للحج،
فأرادوا أن يلاحقوه على ما سبق من أخذِه بعض
سرح المدينة.. فتوجهوا إلى الرسول عليه الصلاة
والسلام ليستأذنه فى طلبه.. قد اشتد عليهم أن
يروا فى المعتمرين بعض من سبق أن صدوهم عن
زيارة بيت الله الحرام فى عام الحديبية، فقالوا
لرسول الله ﷺ: نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم..
وجعل البعض يقول للرسول عليه السلام..».
بعض الحجيج : يا رسول الله، إنما هؤلاء مشركون كمثل هؤلاء، فلن ندعهم
إلا أن نصدهم عن البيت الحرام!

«النبى عليه السلام لا يجيب المسلمين إلى
طلبهم أن يعرضوا للحطم أو لغيره ممن أتوا حاجين
إلى البيت الحرام.. وإنه عليه الصلاة والسلام
لفى ذكره وضراعتة ودعائه بموقفه بعرفة، يتنزل
عليه الروح الأمين، فيوحى إليه من كلمات ربه

بالنهي عن التعرض لمن جاء بالبيت الحرام
 حاجاً أو معتمراً.. وألا يجرمهم شأن قوم أن
 صدوهم سلفاً عن المسجد الحرام أن يصدوهم أو
 يعتدوا عليهم.. النبي عليه السلام يصغى ملياً إلى
 ما جاءه به جبريل عليه السلام..».

جبريل

: (يتلو على محمد) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ
 أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ
 وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُحِلُّوا
 شَعِيرِ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ
 الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَلْبَغُونَ فَضُلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا
 وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
 الْمَيْتَةُ وَالذَّمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ؕ وَالْمُنْخَنِقَةُ
 وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا
 ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ؕ الْيَوْمَ
 يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ
 الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ
 لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ
 فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ [سورة المائدة: آيات ١ - ٣].

(يرتفع الوحي)

«المدينة، وعين النبي عليه الصلاة والسلام
قريرة بدخول الناس فى دين الله أفواجًا..
فطوال السنتين التاسعة والعاشره للهجرة،
ووفود القبائل تفىء إلى المدينة من أنحاء الجزيرة
العربية لتعلن إسلامها.. وآلت الأمور إلى سواء
فى نجران واليمن، بعد بعثة خالد بن الوليد إلى
نجران، وبعثتى على بن أبى طالب إلى همدان ثم
مذحج، وما بعثه هناك معاذ بن جبل وأبو موسى
الأشعري ومن قبلهما أبو عبيدة بن الجراح،
فدخلت معظم اليمن فى دين الله راضية مرضية،
وبلغ من رضاها وإقبالها عليه أن اعتنقه نصارى
نجران وقدم وفدهم إلى المدينة ليعلنوا إسلامهم
بين يدى الرحمة المهداة عليه الصلاة والسلام..».

«النبي عليه الصلاة والسلام يرنو ببصره وقلبه
إلى البيت الحرام، فقد طالت أشواقه إلى الحج،
وأزمع ذلك فى العام التاسع للهجرة، ولكنه تمنى
ألاَّ يحج إلاَّ بعد أن يتخلص الحرم من بقايا الشرك
التي ظلت تحاصره فيمن لا يزالون من المشركين
يحجون إلى البيت عرايا كما كانوا يصنعون فى
الجاهلية، ويرتاد منهم الحرم المكى كما يشاء..
آثر عليه الصلاة والسلام أن يتمهل بحجه إلى
العام القابل، وأن يندب أبا بكر الصديق للحج
بالناس بذى الحجة للعام التاسع للهجرة...».

«فى الحج بالعام الماضى ، تنزلت سورة التوبة ناهية عن وجود المشركين بالحرم ، وأرسل عليه الصلاة والسلام على بن أبى طالب ليلحق بأبى بكر فى الحج ويتلو على الناس ما تنزل من سورة التوبة.. وأن ينادى بأنه لن يحج بعد ذلك العام مشرك ، وألا يطوف به عربان.. وتنقّى الحرم المكى بذلك مما كان يحيق به من ارتياد وتصرفات أهل الشرك.. النبى عليه السلام ، وقد قرت عيناه ، وعزم على الحج إلى البيت الحرام ، أذن فى الناس بأنه يحج فى هذا العام العاشر للهجرة..».

* * *

«المدينة فى ذى القعدة من العام العاشر للهجرة ، تموج منذ أذن الرسول بخروجه للحج ، بكثيرين قدموا من شتى أنحاء الجزيرة ليحجوا مع الرسول عليه السلام ويقتدوا به فى مناسكهم.. فلم يكن قد حج من المدينة إلى مكة طوال السنوات التسع الماضية ، وطفقت المدينة تموج بالأفراح والبركات والرحمات والحجيج يتجهزون للحج إلى بيت الله المحرم..».

* * *

«المدينة فى الخامس والعشرين من ذى القعدة ، يخرج الرسول عليه الصلاة والسلام من

داره متطيباً مترجلاً، لابساً ثوبين: إزاراً ورداء،
بعد أن صلى الظهر بالمدينة أربعاً.. وخرج
معه أزواجه على الهودج، وأهل بيته وعامة
المهاجرين والأنصار وعامة الحجاج.. يرتدون
أردية الإحرام البيضاء - فى أخوة لا فرق فيها
بين غنى وفقير...

«فى ذى الحليفة، يصلى عليه الصلاة والسلام
والحجيج من ورائه، صلاة العصر ركعتين، وبات
بها ليلته، وصلى بها الصبح، ثم طلب الهدى
بعد أن تطيب، وقد أهدى للكعبة أكثر من ستين
ناقة.. وأشعر النوق فى جانبها الأيمن بما يدل
على أنها هدى موجه للكعبة. ووقف عليه الصلاة
والسلام يقول للناس..

النبى : (منادياً فى الحجيج) من أراد منكم أن يهل بحجة وعمرة
معاً فليفعل، ومن أراد أن يهل بحج فليفعل، ومن أراد أن
يهل بعمرة فليفعل.. (مستأنفاً) من ليس معه هدى وأراد أن
يجعلها عمرة فليفعل، ومن كان معه هدى لا يحل.

«النبى عليه السلام يوجه من معه هدى أن يقرن
العمرة بالحج مثله.. ثم يركب راحلته القصواء،
ويبدأ مسيرته المباركة تحف به الآلاف من الحجاج
بين يديه وخلفه، وعن يمينه وشماله.. وطفق
عليه الصلاة والسلام يهل فى مساره بالتوحيد..

النبي

: لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد
والنعمة لك والملك، لا شريك لك..

«الحجيج يرددون التلبية مع الرسول عليه
الصلاة والسلام.. يسرون راكبين ومترجلين في
الصحراء محفوفين بالبركات والرحمات.. وسارت
الرحلة المباركة، تتردد أصداء تليبيتها في جنبات
البيداء، ومرت في طريقها بالأبواء، ثم بوادي
عُسفان، ثم بسرف، ومضت حتى نزل المصطفى
ﷺ بوادي ذي طوى.. على مسافة نحو ميل من
مكة المكرمة.. فبات عليه السلام بالوادي ليلته،
وصلى الصبح به غداة الأحد لأربع خلون من ذي
الحجة... ثم اغتسل عليه الصلاة والسلام ونهض
ميمماً شطر مكة من أعلاها من الثنية العليا (كداء)
التي تشرف على الحجون.. ونزل بالأبطح،
فلما بدا له البيت الحرام رفع يديه داعياً..
: (ويداه مرفوعتان) اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتكريماً
ومهابةً وتعظيماً، وزد من عظمة مَنْ حَجَّهْ واعتمره تشريفاً
وتعظيماً ومهابةً وبراً..

النبي

* * *

«النبي عليه الصلاة والسلام يتجه ومن ورائه
الحجيج إلى الكعبة المشرفة، فيدخل ومن ورائه
الحجاج من باب عبد مناف ويقال له باب

بنى شيبية، ويخرج من باب بنى مخزوم إلى
الصفا، ينظر إلى البيت ويستقبله ثم يرفع يديه
ويكبر ويقول..

: (رافعاً يديه) اللهم أنت السلام، ومنك السلام، فحينا ربنا
بالسلام.. اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً
ومهابة، وزد من عظمة من حجه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً
وتعظيماً وبراً...

النبى

«النبى عليه الصلاة والسلام يدخل إلى المسجد،
فيعمد إلى البيت ولم يركع تحية المسجد، فإن
تحيته الطواف.. يبدأ عليه الصلاة والسلام فى
الطواف قبل الصلاة، فيطوف بالكعبة سبعة..
يبدأ بالحجر فيستلمه، وتفيض عيناه بالدموع،
ثم يرمل ثلاثاً، ويمشى أربعاً، حتى إذا فرغ يُقبِّل
الحجر، ويضع يديه عليه ويمسح بهما وجهه..
يطوف عليه السلام مُدْخِلاً رداء الطواف تحت
إبطه الأيمن ومغطياً به إبطه الأيسر.. فى كل
طواف يستلم الحجر يمسح ويقبل الركن اليمانى
والحجر الأسود وهو يقول: بسم الله، والله أكبر.

«النبى عليه الصلاة والسلام يأمر من يستلمون
الركن اليمانى والحجر الأسود أن يقولوا: بسم
الله، والله أكبر، إيماناً وتصديقاً بما جاء به محمد.
لا يزاحم عليه الصلاة والسلام عندما يحاذى
الحجر ويستلمه، ويقول لعمر بن الخطاب:

يا عمر إنك رجل قوى لا تزاحم على الحجر
تؤذى الضعيف.. إن وجدت خلوة فاستلمه ، وإلا
فاستقبله وهلل وكبر.. يقول عليه السلام بين
الركن اليماني والحجر الأسود: ﴿رَبَّنَا آئِنَا فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ﴾. [سورة البقرة: آية ٢٠١].

«النبى عليه الصلاة والسلام ينتهى من
طوافه خلف مقام إبراهيم الخليل عليه السلام..
يصلى عنده ركعتين يقرأ فى كل منهما سورة
الفتاحه وسورتى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ
الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص] ،
﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا
تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا
أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبِدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥﴾
لكم دينكم ولي دين﴾ [سورة الكافرون].. ثم
يخرج عليه السلام إلى الصفا قائلاً.. إن الصفا
والمروة من شعائر الله..

«على الصفا يقف عليه الصلاة والسلام ،
ويقول: أبدأ بما بدأ به الله.. إنه عليه الصلاة
والسلام بسبب الشكوى التى يشكو منها ، يسعى
بين الصفا والمروة على راحلته.. عندما يصعد

الصفا، يستقبل البيت ويكبر سبع تكبيرات، ويقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده».. على المروة يدعو عليه السلام ويصنع ما دعا وصنع على الصفا.. عندما ينزل من الصفا إلى المروة يهرول في بعض الطريق أثناء السعي وهو يقول: «رب اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم».

«النبى عليه السلام وقد أكمل الطواف والسعى، يقف ليقول للحجيج إن من ليس معه هدى يصوم ثلاثة أيام، وعليه بالإحلال من إحرامه والتحول إلى المتعة لمن كان قارناً بالحج أو كان قد أحرم بالعمرة وحدها، وأن يبقى كذلك إلى يوم التروية الثامن من ذى الحجة.. وهو يوم منى حيث يهلون من هناك بالحج، ويحرمون عند سيرهم إلى منى.

«النبى عليه السلام يأمر القارن الذى معه الهدى بالبقاء على إحرامه قارناً مثله.. فلا يحل إحرامه حتى ينحر الهدى..

«أبو بكر وعمر وطلحة والزبير قد ساقوا معهم الهدى فلم يحلوا إحرامهم، وهم قد قرنوا الحج بالعمرة كما صنع الرسول عليه الصلاة والسلام.. وأمهات المؤمنين لم يسقن هدياً وهن قارنات

حجًا وعمرة فأحللن ، وفعلت مثلهن فاطمة بنت
الرسول وأسماء بنت أبي بكر.. ولم تحل أم
المؤمنين عائشة من أجل الحيض.

«على بن أبي طالب يلحق بالحج قادمًا من
اليمن ، فيلقى زوجته فاطمة قد أحلت ، فينكر ذلك
عليها ، فتقول له : أمرني بذلك أبي ، فيسأله على
فيقول له الرحمة المهداة عليه السلام : صدقت .
يسأله عليه الصلاة والسلام بما أحلتت يا علي؟
فيقول على : سقت الهدى ، وقرنت العمرة
بالحج ، فيقول له النبي عليه السلام : «إذن لا
تحل مثلي».. في أسفل الوادى ، يسأله سراقه
ابن مالك بن جعشم عن المتعة لما أمرهم عليه
الصلاة والسلام بنسخ الحج إلى العمرة والإحلال :

سراقه بن مالك : ألعامنا هذا يا رسول الله أم للأبد؟..
النبي : (وقد شبك أصابعه واحدة فى الأخرى) لا ، ثلاث مرات .
النبي : (مستأنفًا) إنها لأبد للأبد . «الناس يحلون إحرامهم إلا النبي
ومن معه هدى»..

«النبي عليه الصلاة والسلام يخطب بمكة قبل
يوم التروية بيوم.. وفى ضحى يوم الخميس :
يوم التروية الثامن من ذى الحجة ، يتوجه عليه
الصلاة والسلام بمن معه من المسلمين إلى منى..
يحرم بالحج كل من أحل منهم فى رحالهم.. لا
يدخلون المسجد ليحرموا منه ، بل يحرمون ومكة

خلف ظهورهم.. فى منى ، ينزل عليه السلام
يصلى بالمسلمين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء..
يبيتون بها ليلة الجمعة.. مع طلوع الشمس يسير
الرسول عليه السلام ومعه الحجيج إلى عرفة،
على طريق ضب، والصحابة بين الملبى والمكبر،
ولا ينكر عليه الصلاة والسلام على هؤلاء وأولاء..

«فى منى بمناسك الحج مع رسول الله
عليه الصلاة والسلام، يرى الرحمة المهداة وفد
تجيب وسط الحجيج إلى بيت الله الحرام..
يلاقون المصطفى عليه الصلاة والسلام فى منى،
فيلحظ غياب غلام كان معهم حين قدموا المدينة
فأسلموا، وعرف يومها أنه من بنى أبنى، ولما
سأله عن حاجته، قال الغلام: لا حاجة لى
كحاجة أصحابى، ما أريد إلا أن تسأل الله عز
وجل أن يغفر لى ويرحمنى وأن يجعل غناى فى
قلبى. يفتقده الرحمة المهداة بين حجاج تجيب،
فلما لم يجده، سألهم عنه، فقالوا..».

حجاج تجيب : يا رسول الله، والله ما رأينا مثله قط، ولا حدثنا بأقنع
منه بما رزقه الله. لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها
ولا التفت إليها..

النبى : (داعياً له) الحمد لله إنى لأرجو أن يموت جميعاً.
أحدهم : تشعب أهواؤه وهمومه فى أودية الدنيا.. فلعل أجله يدركه
فى بعض تلك الأودية فلا يبالي الله عز وجل فى أيها هلك.

* * *

«فى عرفة ، يتجه عليه الصلاة والسلام إلى قبة
من شعر كانت قد ضربت له فى عرفة ، نام عليه
السلام نومة الظهيرة فى ظل صخرة ، وأزواجه
فى قباب خزّ.. مع زوال الشمس ، يأمر عليه
الصلاة بناقته القصواء ، ثم يركبها ويقول : اللهم
حجة لا رياء فيها ولا سمعة..»

«فى بطن الوادى من أرض عرفة ، يتوقف
ﷺ ، ليخطب فى الناس.

: (خطيباً فى الحجيج) أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم
عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا
فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم
فيسألکم عن أعمالکم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده
أمانة فليردها لمن ائتمنه عليها ، ألا إن كل شىء من
أمر الجاهلية موضوع تحت قدمى ، وإن أول دمائكم
أضع ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ربيعة ، وإن كل
ربا موضوع ، ولكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون
قضى الله أنه لا ربا ، وإن أول ربا أضع ربا العباس بن
عبد المطلب ، فإنه موضوع كله.

أما بعد.. أيها الناس.. الشيطان قد يئس أن
يُعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطمع فيما
سوى ذلك فقد رضى بما تحقرون من أعمالكم
فاحذروه على دينكم.

أيها الناس إن النسيء زيادة فى الكفر ، يُضل
به الذين كفروا يُحلونه عاماً ، ويحرمونه عاماً ،

ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا منها أربعة حُرُم، ثلاثة متوالية: ذى القعدة وذى الحجة والمحرم، ورجب مضر الذى بين جُمادى وشعبان.

أما بعد أيها الناس.. اتقوا الله واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكتاب الله، ولكم عليهن حق، ولهن عليكم حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين فلهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

فاعقلوا أيها الناس قولى - فإنى قد بلغت - وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي أبداً - إن اعتصمتم به - أمرين: كتاب الله عز وجل وسنتى.

أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه، تَعَلَّمَنَّ أن كل مسلم أخو المسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، فلا تظلمن أنفسكم واعلموا أن القلوب لا تغل على

ثلاث: إخلاص العمل لله عز وجل ومناصحة أولى الأمر، وعلى لزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، ومن تكن الدنيا نيته يجعل الله فقره بين عَيْنَيْهِ ويشتت عليه ضيعته، ولا يأتيه منها إلا ما كتب له، ومن تكن الآخرة نيته يجعل الله غناه في قلبه، ويكفيه ضيعته وتأتيه الدنيا وهي راغمة، فرحم الله امرأةً سمع مقالتي حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، أرقاؤكم أرقاؤكم أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، فإن جاء بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله، ولا تعذبوهم، أوصيكم بالجار.. وأكثر حتى قال السامعون إنه سيورثه.

أيها الناس: إن الله قد أدى لكل ذي حق حقه، وإنه لا يجوز وصية لوارث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، العارية مؤداة، والنحلة مردودة، والدين منقضٍ مقتضٍ والزعيم غارم.

أما بعد: فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هاهنا عند غروب الشمس حتى تكون الشمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرجال على رؤوسهم. هدينا مخالف هديهم، وكانوا

يدفعون من المشعر الحرام عند طلوع الشمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرجال على رؤوسهم. ويقولون: أشرق تبير كيما نغير فأخر الله هذه وقدم هذه، قدم المزدلفة قبل طلوع الشمس، وأخر عرفة إلى أن تغيب الشمس، وإنا لا ندفع من عرفة حتى تغيب الشمس، ولا ندفع من المزدلفة حتى تطلع الشمس، هدينا مخالف لهدى الأوثان والشرك.

: (منادياً عليه في الناس) إنكم سوف تسألون عني، فماذا أنتم قائلون؟

النبي

: نشهد أنك بلغت، وأديت، ونصحت...

الحجيج

: (يرفع سبابته إلى السماء وينكثها على الناس قائلاً) اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد..

النبي

«النبي عليه الصلاة والسلام يأمر الناس أن يرتفعوا عن بطن عُرنة، ويقف من لدن الزوال إلى غروب الشمس وهو يدعو الله تبارك وتعالى ويبتهل ويتضرع إليه رافعاً يديه إلى صدره كاستطعام المسكين.. ويخبر الناس أن خير الدعاء يوم عرفة..»

: (داعياً) اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيراً مما نقول. اللهم لك صلاتي - ونسكى ومحياي، ومماتي، وإليك مآبى، ولك تراثي. اللهم إنى أعوذ بك من شر ما يجيء به الريح، ومن شر ما يلج في الليل، وشر ما يلج في النهار، وشر بوائق الدهر.

النبي

«مع نهاية الخطبة النبوية، والدعاء.. يؤذن بلال بن رباح، ويقوم الصلاة.. النبي عليه الصلاة

والسلام يصلى الظهر قصراً: ركعتين، ثم يقيم
 بلال الصلاة ثانية، فيصلى النبي العصر قصراً:
 يجمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين حتى
 وقت الظهر.. بعد الصلاة، يركب النبي حتى
 يأتى الموقف، فيجعل بطن ناقته إلى صخرات
 مفترشات فى أسفل جبل الرحمة وسط أرض
 عرفات.. يستقبل القبلة ويظل واقفاً حتى غروب
 الشمس.. يتلو فى الناس ما كان قد تنزل عليه من
 سورة المائدة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ
 عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾..

«المسلمون يسمعون إلى الآية بقلوب واجفة،
 وتنهمر عبراتهم تأثراً وهم يتأملون فى معنى الآية».

«النبي عليه الصلاة والسلام فى موقفه،
 تتوارد الخواطر، وتفويض المشاعر عرفاناً بما منَّ
 الله تعالى به على رسوله وعلى المسلمين، فنصرهم
 وأعز دينه.. وطفق الناس يدخلون فى دين الله
 أفواجا، حتى أتوا للحج فى هذا المشهد العظيم.
 ينزل عليه جبريل فيوحى إليه من آيات ربه..

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ
 وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ
 أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ
 تَوَّابًا﴾ [سورة النصر].

(يرتفع الوحي)

«الحجيج تختلط في نفوسهم الأفراح بالدموع..
تفيض قلوبهم ووجداناتهم بشكر الله على جزيل
نعمه وفضله ، وتسبقهم دموعهم وقد أحسوا أن
السورة تنعى إلى النبي عليه السلام نفسه.. ويقول
بعضهم أنهم سمعوه يقول بجنان ثابت ، وقلب
راض ، ولسان شاكر «نُعيّت إلى نفسي ، كأنى
مقبوض في تلك السنة».. الجميع تأخذهم أجواء
الحج ومناسكه ، فيمضون إلى ما كانوا فيه حول
ووراء الرحمة المهداة عليه الصلاة والسلام..

«في العشية ، يسير عليه الصلاة والسلام
على راحلته ، والمسلمون من حوله ، من عرفة
إلى المزدلفة.. إذا وجد فسحة بين الناس
أسرع ، وإذا لم يجد أبطأ ويأمر الناس بالتؤدة
والسكينة.. يصلى عليه الصلاة والسلام المغرب
والعشاء بالمزدلفة بأذان واحد وإقامتين ، لكل
صلاة منهما إقامة.. ثم يضطجع إلى قرب طلوع
الفجر.. يستيقظ عليه الصلاة والسلام في الفجر ،
ويأذن للضعفاء من الذرية والنساء في التقدم من
المزدلفة.. يصلى عليه السلام الصبح في المزدلفة
بأذان وإقامة ، ويركب راحلته قبل طلوع الشمس
داعياً الله في سيره ومكبراً ومهلاً وموحداً..
يحمل معه من المزدلفة حصى العقبة.. ويسرع
في وادى محسر بالمزدلفة إلى منى دون أن يقطع
التلبية حتى يرمى جمرة العقبة.. سبع حصيات

وهو على راحلته.. وهي الجمرة الكبرى.. يكبر

عليه الصلاة والسلام مع كل حصة يرميها إلى بطن

الوادى.. يقول عليه السلام للناس وقد تراحموا..

: (منادياً في الحجيج) يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضاً،

وإذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف.. خذوا عني

مناسككم، فإنى لا أدري لعلى لا أحج بعد حجتى هذه!

«الرسول عليه الصلاة والسلام فى المنحر بمنى،

يقوم بالنحر ذكرى لأضحية إبراهيم عليه السلام

يوم افتدى الله ابنه إسماعيل بكبش عظيم..

يخطب عليه السلام فى الناس، فيقول لهم..

: (خطيباً فى المسلمين) أيها الناس، أى يوم هذا؟

: (مجيبين) يوم حرام؟

: فأى بلد هذا.

: بلد حرام.

: فأى شهر هذا؟

: شهر حرام.

: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم

هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا...

«النبى عليه الصلاة والسلام يكررها مراراً.. ثم

يقول فى الناس، رافعاً رأسه إلى السماء.

: اللهم هل بلغت. اللهم هل بلغت. اللهم فاشهد..

: (مرددين) اللهم فاشهد..

* * *

«النبى عليه الصلاة والسلام ينهض فى يومه :
يوم السبت راکباً إلى مكة ، يطوف طواف الإفاضة
قبل الظهر.. ويشرب بالدلو من ماء زمزم ، ومن
نبيذ السقاية : ماء به زبيب ، ويصلى الظهر
بمكة ، ثم يعود إلى منى ، ويظل بها طوال أيام
التشريق من يوم السبت إلى مغرب يوم الثلاثاء..
يوصل فيها رمى الحجاره ويكبر مع رمى كل
جمرة .. يأمر عليه الصلاة والسلام فى اليوم
الثالث عشر من ذى الحجة أن تضرب له خيمة
بالأبطح فى مكة.. يأوى إليها ليزور فى مقامه
بمكة قبر خديجة وقبر عمه أبى طالب .

«النبى عليه الصلاة والسلام ، وقد دخل
مكة فى الليل سحرًا قبل صلاة الصبح من يوم
الأربعاء ، يأمر الناس أن يكون الطواف بالكعبة
آخر عهدهم بمكة ، ثم يرجع عليه الصلاة والسلام
إلى منى ، ويأمر بالرحيل إلى دار الهجرة.. يدعو
فى طريق العودة ، والمسلمون يرددون وراءه الدعاء
فتهتز لأصدائه البيداء.. على مشارف المدينة ،
يكبر ثلاث مرات ، ثم يقول..

: (مردداً والمسلمون من ورائه) لا إله إلا الله وحده ، لا شريك
له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير.. آيئون
تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون. صدق الله وعده
ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده..

النبى

«النبى عليه السلام والمسلمون يرددون الدعاء
حتى يدخلوا المدينة وقد أدوا مناسكهم وقرت
عيونهم بما بذلوه فى أداء الفريضة، والتقرب إلى
الله عز وجل، قيوم السموات والأرض..».

* * *